لقاءات رمضان ١٤٣٤هـ

اللقاء الخامس والعشرون: تفسير الآيات ١٣-١٦ من سورة الشورى

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

من المِنن العظيمة على الخلق التي لا تفوقها منّة ولا تقارنها عطية: أنّ الله عزّ وجلّ بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وأنزل الكتاب، وشرع الشرع

- فما هي عقيدتُنا في هذا الشرع؟
- كيف نصل إلى امتثال الأمر؟
- ماذا نفعل من أجل أن نصل إلى رضى الله عزّ وجلّ؟

هذا إن شاء الله يكون موضوعنا في الآيات من سورة الشورى.

يقول تعالى ممتنًّا على خلقه: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ فإذن هذا الدين شرعُنا وشرعُ من قبلنا، إذا تأملنا سنجد أصاله هذا الدين، ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ فهذه الشريعة أي هذا الدين مثلُ ما وصى به نوح في أيّ شيء؟ في أصول الدين، مما يجب لله تعالى من الصفات في أصول الشريعة كليات التشريع وأعظمها على الإطلاق التوحيد، ثم مابعد ذلك من الكليات الخمس الضروريات ثم الحاجيات التي لا يستقيم نظام البشر بدونها، فإن كل ما اشتملت عليه الأديان قد أُودع مثله في دين الإسلام، الأديان السابقة كانت قد تأمر بالتوحيد؛ الإيمان بالبعث؛ تصديق لقاء الله؛ الأمر بتقوى الله؛ وامتثال أمر الله بمكارم الأخلاق بحسب ما هو معروف ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ صحف من؟ ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ الأعلى: ١٩ .

إذن معنى ذلك أن ديننا أصيل، وُصّينا به كما وصي به من قبلنا، ولكي تفهم هذا جيداً، فانظر إلى الحج، فإذا وضعت قدمك في منى فاعلم أن هذا المكان أتاه كل الأنبياء! وهذا المسجد -مسجد الخيف- صلى فيه كما ورد في الحديث سبعون نبيًّا[1].

فهذا دين واحد ولو اختلفت التشريعات التفصيلية، ولو تباعدت الأزمنة، يجتمع دين الإسلام مع ما قبله في الأصول وإن خالفها في الفروع، امتازات هذة الشريعة السمحة بأمور عظيمة:

- امتازت بتعليل الأحكام؛ فكثير ما يذكر في القرآن علة الأحكام.
- امتازت بسد الذرائع
- امتازت برفع الحرج، بالسماحة
- امتازت بشدة الاتصال بالفطرة. كل هذه من النعم العظيمة التي أنعم الله عزّ وجلّ بها علينا.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِى شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ﴾ الشورى: ١٣ – ١٦.

يقول الشيخ:

"هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده".

[1] رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.

فهل من شاكر لذلك؟! هل من شاعر بذلك؟ من وجوه التفكر والتعبد، أن نتفكر في محاسن الشريعة، واليوم يوم نشر المحاسن، الآن آن أوان نشر المحاسن بين الناس، إن الناس طربت بهم نفوسهم وكثرت عليهم الفتن ووقع ما وقع في قلوب الخلق سبب الافتراق الذي سيأتي الكلام عنه، فآن الآن أوان ذكر المحاسن، وإن كان من الزمن الأول هو وقت ذكر محاسن الدين، لكن من العبادات العظيمة التي نتقرب بها إلى الله أن نعظم هذه النعمة؛ لأنها -كما قال الشيخ- أكبر منّة أنعم الله بها على عباده، وأن ندعو إليها بذكر محاسن الدين، سيأتينا إن شاء الله في سياق الكلام الأمر بذلك.

ما هي أكبر منة أنعم الله بها على عباده؟

"أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم لابد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال".

فالدين الإسلامي هو ديننا ودين الأنبياء قبلنا، الإسلام المبني على الاستسلام.

ولهذا لا تتعجب فإن اسم الإسلام يطلق على أمور ثلاثة:

١. يطلق في أضيق معنى له يقابل أركان الإيمان، إذن يوجد أركان الإسلام وأركان الإيمان.
٢. أوسع من ذلك دينا دين النبي صلى الله عليه وسلم اسمه الإسلام.
٣. أوسع من ذلك أديان الأنبياء كلهم اسمها الإسلام.

فمعنى ذلك أن أعظم منّة منّ الله بها على الخلق أن شرع لهم الدين، وهذا الدين هو الإسلام.

والإسلام مبني على الاستسلام ولذلك لو نظرنا في كلام نوح عليه السلام لما قال لقومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٧٢، إذن هذا دين نوح عليه السلام، ومثله لمن نسمع موسى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ يونس: ٨٤، فإذن هذا أيضاً دين موسى عليه السلام.

وهكذا نفهم أن هذا الدين ديننا ودين من قبلنا هو دين الإسلام، فإذا شعرنا بهذه الصلة العظيمة بحثنا، هذا الدين ما أثره على الخلق؟ شرعه الله لهم لهؤلاء الكُمَّل من الخلق، لما نرى إلى الآية نرى ذكر أولي العزم من الرسل.

﴿ وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ هذة أول الرسالة، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ هذه خاتمة الرسالة، إذن البداية والنهاية ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ أول الرُسل ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ آخر الرسل وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر إبراهيم الذي هو رأس الحنيفية، وموسى الذي شرعه من أوسع الشرائع، وعيسى الذي سبق النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة، فهؤلاء أولي العزم من الرُسل كان شرعهم الإسلام كما كان شرع كل الأنبياء والمرسلين.

هؤلاء كمّلهم الله بالإسلام، واصطفاهم بسبب قيامهم به، فلولا دين الإسلام ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة وقطب رحى الكمال.

ما هو هذا الدين ؟

قال : **وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب.**

دعا الدين إلى أربعة أمور:

١. **التوحيد** سواء كان في أسماء الله عز وجل وصفاته أو كان في الأولوهية.
٢. **والأعمال** التي هي بالقلب والبدن.
٣. **والأخلاق** التي هي تعامل الإنسان مع الخلق.
٤. **والآداب** التي يتأدّب بها الناس في معاملاتهم.

"ولهذا قال: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}".

يعني هذة المنة وهذا الشرع الذي شرعه لك ماهو المطلوب أمامه؟ المطلوب أمامه ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ ﴾.

"أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه".

كيف يكون إقامتها؟

"تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم".

تقيمونه أي الدين، إذن ما معنى إقامة الدين؟

أولاً : نقيمه على أنفسنا.

ثانياً : نقيمه على غيرنا.

"وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان".

ولذلك أمس في السورة التي درسناها (فصلت) التي سبقت الشورى مباشرة، سمعنا في مدح من دعى إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ فصلت: ٣٣، واليوم يزيد هذا الثناء والمدح ويظهر أكثر ماهو المطلوب، أربعة أمور :

١. أقيموا الدين على نفسكم.
٢. اجتهدوا في إقامته على غيركم.
٣. ثم تعاونوا على البر والتقوى.
٤. وكونوا حذرين من التعاون على الإثم والعدوان.

هذا إقامة الدين.

ثم يقول سبحانه وتعالى : **{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}**

ولا تتفرقوا في الدين.

"{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم".

وهذا الأمر الخطير الذي يعيشه المسلمين اليوم وهي مسألة التعصب والتحزب مع اتفاقهم على الدين لكنهم يتعصبون ويتحزبون.

أي أنت الآن عبد لله في جميع أمورك، ماهو المطلوب منك؟ أن تنقاد لله، تخضع له في كل شيء، وتستسلم لأن دينك اسمه الإسلام، تستسلم استسلامًا كاملاً لله في جميع الأمور.

المسلم الحقيقي ماذا يفعل؟ يخلص عبادته كلها لله، كما أنه لا يصلي إلا لله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يتحاكم إلا لشرع الله، أيضاً لا ينتمي لجماعة تشتري ولاؤه، بحيث يوالي ويبرأ على هذه الجماعة، ما ينتمي إلا لدين الله، لايتحزب لحزب ولا يوالي إلا أولياء الله، ولا يعادي إلا أعداء الله، هذا كان من أعمال الجاهلية التحزب، اليوم توجد

أسماء كثيرة في داخل الدين وخارجه، اللبرالية، العلمانية، القومية، البعثية، فالناس يتصورون أنه يمكن أن يجمعوا بين الأمرين، الدين كامل له أحكامه التعبدية، وله أحكامه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فأنت لست بحاجة لأي أحد ولا لأي نوع من التفكير، إنما بهذا الدين فكِّر، لا يمكن أبداً أن يكون إنسان مسلم في الجانب التعبدي، مثلاً علماني في الحياة، أو اشتراكي في الجانب السياسي أو الاقتصادي! هذا تناقض! كيف يجمع بين متناقضين؟! الإسلام له أحكامه في كل شيء.

فالحذر من هذه الانتماءات، والحذر أيضًا من الانتماءات التي تتجه إلى الصبغة الدينية فيدخل الناس في الأحزاب ويوالون ويبرؤون عليها وينتصرون لها وينتصرون لاسم الحزب أو لأشخاص الحزب، ويحصل ما يحصل من تفريق المسلمين في الأفكار والتصورات والمناهج.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُثَاءِ جَهَنَّمَ)) قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى؟ قَالَ: ((وَإِنْ صَامَ وَإِنْ صَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ))[٢].

إذن المطلوب أن نحذر من هذه طوائف الحزبية، ما دخلت الحزبية مجتمع إلا فرقته، ولا إنسان صالح إلا أفسدته، ولا كثير إلا قللته، ولا قوي إلا أضعفته، فكل طائفة ماذا تريد؟ تشتري ولاء الناس وحبهم، والأعداء لغيرهم وإن كانوا يقومون بنفس العمل ويريدون خدمة الدين وخدمة نفس الهدف، فمن هذه الكلمات الكبيرة العلمانية والاشتراكية نعود إلى الصغيرة التي يمكن أن تكون قريبة ونعايشها.

الحزبية هذه عصا تفرّق الجهود، يستلمها كل شخص من هؤلاء الأحزاب فيضرب بعضهم بعضًا! والله عزّ وجلّ يختبرنا اختبارًا عظيمًا في هذا الأمر، فنجد الناس يحبون القرآن يريدون أن يخدموا الناس في القرآن، يريدون أن يخدموا المجتمع فيُقْرِئونهم القرآن ويدعون إلى الله، فما تجدهم بعد هذا الصدق الذي بدؤوا به إلا والوا وجعلوا ولاءاتهم على مكانهم، على مدرستهم، على مؤسستهم، يصبح على حزبهم، فحزبهم هذا ممكن أن يكون على اسم مدرستهم، أو حزبهم اسم مؤسستهم، فتدخل الأخطار وهم لا يشعرون حقيقة، فلا تجد إقامة الدين على نفسهم وعلى غيرهم، ولا التعاون على البر والتقوى.

ولا النهي عن الإثم والعدوان، أمر ليس بالسهل طرحه واستيفاء حقائقه، **لكن الأمر يحتاج إلى استغاثة**، أنت مطلوب منك أن تجتمع مع جماعة المسلمين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ المجادلة:٢٢،

[٢] رواه أحمد في مسنده، تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح أبو خلف موسى بن خلف – وإن اختلف فيه – متابع وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح

﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ المائدة: ٥٦، هذه الغلبة موعود بها وثابتة لحزب الله.

من هم حزب الله؟ هم الجماعة، ((وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ: الْجَمَاعَةُ))[٣]، أيضًا من ألفاظ الحديث: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي))[٤] معناه: أننا كلنا نسير في طريق وراء النبي صلى الله عليه وسلم ننشد الحق، نسعى في فكاك نفسنا من عذاب الله، وننأى عن شق عصا المسلمين.

فنحن نبذل جهودنا في الاجتماع مع المسلمين وليس تفريقهم وتكفيرهم، هنا جماعة تجتمع وهنا جماعة تجتمع وهنا يعتصمون وهنا يعتصمون فهذه حزبية! فالخطر الخطر أن تدخل أفكار فيجتمع عليها الناس فتكون جزءًا من الدين وليست الدين كله، يعني الأحزاب الدينية تأتي إلى أمر من أمور الدين وتعتني به وتعليه وتجعل الولاء والبراء عليه.

مثلًا تجعل تطبيق الشريعة هي موضوعها –المقصود في نظام الدول– ، ويكون كل همّها أن تصل، في بداية الأمر يكونون مهتمين ثم تتفرق بهم الشعب، لكن المرحلة الأولى في حياة ولادة الحزب اهتموا بتطبيق الشريعة، واهتمامهم بتطبيق الشريعة، الكلام عن الطبقة العليا في الدول من أجل أن تطبقه في المحاكم في الاقتصاد... كما يزعمون، الحزب اعتنى بهذه المسألة، يواجهون أشخاص حولهم من عامة الناس –المدعوّين لنا ومطلوب منا نأمرهم بالمعروف– يخالفون في توحيدهم يشركون بالله، يتقربون لغيره، يحتفلون ببدع، نغمض أعيننا عن هذا كله، وهدف واحد جزء من الشريعة.

نحن لا نختلف أن تحكيم شرع الله مقصد عظيم من مقاصد إقامة الدين، ما يختلف عليه اثنين، لكنه جزء من الدين وليس الدين، فالأحزاب الدينية ماذا تفعل؟ تأخذ جزء من الدين وتقيم الدين عليه، من قال أنا سأنظر للدين كله وسأجمع الناس علي من أجل إقامة الدين، نقول: ما يحتاج أن تسمي نفسك اسمًا ولا تكوّن لك حزبًا، بل اجمع الناس يتعلمون في المدارس والمعاهد والجامعات، هذه تنظيمات لابد منها، اجعلهم يجتمعون ثم يتفرقون كل واحد منهم يدعو إلى دين الله واربطهم بأهل العلم واربطهم بالعلماء واربطهم بالسلف الصالح واربطهم بالتراث العظيم الذي تركه الأولين لنا، ولا تربطهم بشخصك، لست أنت إنما اربطهم بالدين.

[٣] "سنن ابن ماجه" (كتاب الفتن، بَابُ افْتِرَاقِ الأُمَمِ، ٣٩٩٣) قال الألباني: صحيح.

[٤] "سنن الترمذي" (كتاب الإيمان، باب مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الأُمَّةِ، ٢٨٥٣) قال الألباني: حسن.

فالحزبية شأن عظيم، تجد الناس في نهاية الأمر ينظرون إلى هذه الجماعات نظر التعظيم إلى أن نصل إلى نظر التشريع! فيكون في نفوسهم ولاء لغير الله ولغير دين الله، والخطر طبعًا في أن من ليس معنا فهو ضدنا، وإذا كان الأمر بهذه الصورة، افترق المسلمين، غير أن نفس هذه الأحزاب والطوائف ماذا ستفعل؟ ستكون في داخلها حرب؛ لأن شهوة العلو شهوة لا يستطيع أحد أن يدافعها إذا لم يسير على دين الله وعلى إخماد ذكر نفسه، إذا لم يكن صادق في ذلك.

إذن لا تتفرقوا في الدين، اجتمعوا عليه، من أخطر ما يواجه المسلمين اليوم: هذه الجماعات والفرق التي تنشأ في داخلها، **إنما نسعى حثيثًا لجمع الناس على القرآن**، اجمعهم في كل مكان على القرآن، لا تطلب منهم ولاءات خاصة، لا تطلب منهم اجتماعات سرية، لا تقم بعمليات تنظيمية تجعل الأمر في الدعوة معقّدًا.
نكون منظّمين ونستعمل كل الطرق التي توصلنا لدعوة الخلق، ولكن ليس حزباً سياسيا أودينياً تفسد به أكثر مما يصلح، الحزبيات المقيتة شتت الأمة وفرقت شملها وأضعفت صفها ونشرت بينها الأحقاد والضغائن، ارتفعت شعارات شيطانية، تعددت الرايات العنصرية، كثرت التعددات الحزبية، تفرق مجتمعنا ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٣، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾ الروم: ٣١ – ٣٢.
على كل حال الأمر شديد خطير يدب دون أن نشعر، نحذر منه المجتمعات الصغيرة في الدعوة، كما نحذر منه المجتمعات الكبيرة، نحذر منه من اجتمعوا في تنظيم لابد منه، أي في معهد أو مدرسة، أي نحذرهم نقول: لا تتعصبوا على مكانكم ولا تجعلوا ولاءكم له، إنما ولاؤكم لله. وفي نفس الوقت نقول: مكان أنا أعمل فيه ألا يكون لي مشاعر خاصة تجاهه؟ نعم تكون لك مشاعر خاصة تجاهه ، توالي وتبرأ لله، تحب هذا المكان الذي تتعلم فيه القرآن، كيف لا تحبه! كيف لا تحب المكان الذي اجتمعت أنت وإخوانك فيه كانت الملائكة تحيطُ بكم.

لكن هناك فرق بين أن تحبه وبين أن توالي وتبرأ .

وعلى كل حال الأمر كله يطرح الحاجة إلى التوازن عظيمة فيه، فلما يأتي أحد نقول: لا للحزبية، تأتي في المقابل ذلك دعوات للنفور من جماعات المسلمين! اجتمع معهم اجتمع على الخير، لكن لا توالي وتبرأ عليهم، ولا تحب من يحبُهم وإذا خالفوك الرأي تركتهم، ولا تقل: أنت معي أو ضدي، لكن لكل شيء مساحة، هناك مساحة لأن تقول: أنا لا أحب طريقتكم في تعليم العلم أشعر أنكم شديدون وتزيدون على الناس في مسائل الاهتمام بكذا وكذا، وأنا أحب من يعلمني يكون كذا وكذا (حكمه، وحاله، ووضعه) لا بأس، هذه طريقة وهذه طريقة، ولكن في النهاية كلنا نتعلم قال الله وقال رسوله، كلنا نجتمع على تعظيم الله وتعظيم الشرع.

نحن ما لنا إلا أن ندعو الله أن يسلمنا من الحزبية، ما لنا إلا هذا، ثم ندعوه سبحانه وتعالى أن يبين لنا الطريق، لأن كثيرا ممن يحارب الحزبية أصبح حزب بمحاربته الحزبية! بمعنى ينظرون للأحزاب الموجودة في الساحة ويبغضونها وينهون الناس عن التحزب، جميل إلى هنا، لكن إذا ما قبلت الذي تسمع الكلام منهم أن تنصف في صفهم وتكون معهم، هم تحزّبوا عليك وأصبحتَ مطرودًا من عندهم! قد عاد الأمر على نفس الأمر! أصبح الذين يحاربون الحزبية أحزابًا بأنفسهم، وهذا كثير، فقد تولّدت الأحزاب من بُغض الأحزاب! تولّد في التاريخ الحزبية من بغض الأحزاب.

مثلا: لما وقع التشبيه في صفات الله في عصر من العصور المتقدمة -عصر الإمام مالك- وأصبح هؤلاء المشبهة فرقة وجماعة اجتمعوا على هذا الأمر، ردّ عليهم الجماعة الآخرون بتعطيل صفات الله، وأصبحوا حزبًا فكريًّا يضادون فيه المشبهة، فالمعطلة ردًّا على المشبهة، وبذلك كوّنوا حزبًا يخالف الأول، من سلم؟ أهل السنة والجماعة الذين بقوا على دينهم، يبغضون هؤلاء ويبغضون هؤلاء، يرفضون فكر هؤلاء ويرفضون فكر هؤلاء، بقوا مع منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذن المعنى لازلت أقول لكم وأسأل الله عزّ وجلّ لي ولكم ولجميع المسلمين الهداية على الصراط المستقيم، أمر غاية في الحساسية غاية في الدقة يحتاج إلى عناية؛ لأنه يتسرب تسرباً إلى النفوس دون أن يشعُر الإنسان، فنحن من عظّم الله وعظّم كتابه وعظّم نبيه وعظّم شرعه وبذل جهده في نشر ذلك بين المسلمين، وطرق أبواب المسلمين كل باب يستطيعه لإيصال الحق، نحن مع هؤلاء دون أن ننتمي لهم ودون أن نقبل بكل آرائهم التي يفرضونها، إذا قال رأي هذا رئيسهم لا بد أن يقبله الجميع، هذه هي الحزبية هذه بالضبط الحزبية.

أسأل الله عزّ وجلّ الهداية إلى الطريق المستقيم، وأسأل الله عزّ وجلّ أن يرفع عن المسلمين ما بهم من كرب، إن السبب الرئيس في ظهور الأحزاب هو قلة العناية بالعلم هذا أهم سبب، واتباع وتعظيم الآراء والأهواء، فبعدما كنا نرى في البلاد حزب وحزبين الآن الأحزاب بالمئات! الناس يرفعون رايات ويريدون من الناس أن يجتمعوا حولهم ويحذرون من غيرهم، أصبح هذا هو الطريق! يكون لهم رأي ثم يجمعون الناس عليه ويبذلون جهدهم ويكررون حتى يجمعوا الناس عليه ويحذرون من أي أحد يخالفهم، وانتهى الأمر بأننا بدل الحزب والحزبين الذي كان يعاني منه الأوائل، أصبحت الأحزاب بالمئات، والله وحده المستعان.

يقول: **"ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه: ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد".**

فإذن هذا من أنواع الاجتماع التي أمر الله عزّ وجلّ بها المسلمين، وفي كل هذا الاجتماع لابد أن يكون هناك قائد، لابد أن يكون هناك إمام، فشَغَبهم على الإمام وافتراقهم من حوله يسبّب -حتى في هذه الأمور- الافتراق.

"وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق"

إذن هذا الدين العظيم يأمر بالاجتماع، وإذا أمر بالاجتماع ونهى عن التفرق، أصبح الأمر بالاجتماع عبادة، والتفرق إثم، فنسأل الله أن يسلمنا من الآثام ويفتح لنا أبواب الإيمان.

"{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} أي: شقّ عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص للّه وحده، كما قال عنهم: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وقولهم: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}".

أي: شق عليهم غاية المشقة، لماذا؟ حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده. لما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم للإخلاص كان صعبًا عليهم!

يقول سبحانه وتعالى **"{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ} أي يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها".**

لأنهم كانوا يردون الدين بسبب دعوة التوحيد وبسبب أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر، يقول تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ الإسراء: ٩٤.﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ﴾ الزخرف: ٣١.

"{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}".

أي أن الله عزّ وجلّ يجتبي من يشاء، يختار من يشاء للرسالة، للاصطفاء، والعبد ماذا يفعل؟ هناك سبب من عنده من أجل أن ينجو، ماهو السبب؟ الإنابة ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾.

هذا السبب الذي من العبد يتوصّل به إلى هداية الله وتعالى، **وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه.**

إذن حتى تنجو من التفرق والاختلاف وتكون ممن تابع الدين والشرع، عليك بأن تنيب، يهدي إليه سبحانه وتعالى من ينيب. فالعمل الذي تقوم به من أجل أن تصل إلى ربنا هو أن تنيب له، ما معنى أن تنيب؟

أن يكون قلبك منجذب طول الوقت إليه، بمعنى دائما تريد رضاه، تتابع في جميع أعمالك طلب رضاه، يكون مقصدك طلب الرضاء، فمثل فهؤلاء إن صحّت منهم الإنابة وصحّ منهم بذل الجهد وصحّ منهم البحث عن الطريق الذي يرضي الله فأخطؤوا، الله عز وجل يعاملهم برحمته ولطفه، فمن جهة يدلهم الطريق ومن جهة أخرى يغفر لهم أخطاءهم وزلاتهم.

"فحسن مقصد العبد، مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها".

١. فحسن مقصد العبد

٢. مع اجتهاده في طلب الهداية

← من أسباب التيسير لها

ونحن هنا في أزمة ونخاف أن نكون أحزابًا ونحن لا ندري، ونخاف أن نحارب الحزبية فندخل فيها، ونخاف ونخاف.. نقول: الله يهدي إليه من ينيب، ماذا نفعل؟ نجتهد في طلب الهداية، فنحسن قصدنا في طلب رضى الله، ونجتهد في طلب الهداية من الله، إذا فعلنا هذا، ييسّر الله عزّ وجلّ لنا الهداية، فلا يخبطك البشر بكلامهم، يأتيك أحد فيقول لك: هذا الطريق وهنا الطريق، هذا التخبيط من الناس أكثر شيء يشتت عقيدة الإنسان، فلا تكن ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ ماذا يقولون له؟ ﴿ٱئْتِنَا﴾ الجواب: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الأنعام: ٧١ ، الحمد لله، الله عزّ وجلّ أراحنا من الخلق ومن شتاتهم.

ماذا نفعل؟

لما تختلط علينا الأمور بهذه الصورة ما لنا إلا الاستغاثة، نسغيث بربنا، نتجه بقلوبنا إليه، فإذا اتجهنا بقلوبنا وبذلنا جهودنا في أخذ الأسباب، يرسل الله لنا الأسباب، وييسّر لنا الطريق، الحمد لله رب العالمين الذي لم يوكلنا إلى

خلقة لا في رزقنا المادي ولا في رزقنا المعنوي، الحمد لله رب العالمين، فضل علينا أن نشكر الله عزّ وجلّ على ذلك، لكن أهم شيء نكون صادقين في إرادة رضاه ونبذل الجهد في ذلك.

"وفي هذه الآية، أن الله {يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} مع قوله: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين".

خرج الشيخ بفائدة قال: هذه الآية التي ندرسها الآن في الشورى وقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ لقمان: ١٥ مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، سيوصلنا لماذا؟ دليل على أن قولهم حجة، خصوصًا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين.

إذن الله ﴿ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ ، وأمرنا: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ﴾ ، فإذن هذه علامات تُميّز، فإذا نظرنا للآيتين، ونظرنا إلى حال الصحابة الكرام خاصة الخلفاء الراشدين، جعلنا قولهم علينا حجة.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾ الآن ما الذي حدث فجعل الناس يتفرقون؟

"لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم".

إذن وصاكم بهذا الدين وأمركم أن تجتمعوا فكونوا على حذر، لا تغتروا بهذا الاصطفاء بأن الله أعطاكم الكتاب، إنّ أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمرهم به كتابهم، لماذا؟ هذا بسبب مافي نفوسهم، ذلك كله بغيًا وعدوانًا منهم. فإنهم تباغضوا، هذا أول الأمر، وتحاسدوا كل واحد يريد أن ينتصر لرأيه، كل واحد يريد أن يكون هو صاحب الرأي، ولا عنده عقل يوازي الأمور، فلا تغتروا أن الكتاب معكم، إن نفوسكم هي التي تستقبل الكتاب.

"{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} أي: بتأخير العذاب القاضي {إلى أجل مسمى لَقُضِيَ بَيْنَهُم} ولكن حكمته وحلمه اقتضى تأخير ذلك عنهم. {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِم} أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم {لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكا وارتيابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم".

ولكن حكمته وحلمه اقتضى تأخير ذلك عنهم:. المقصود بهم النصارى واليهود، يعني بدأ الأمر بأنهم اختلفوا بغيًا وعنادًا، يعاند بعضهم بعضا، ينتصر هذا لرأيه وهذا لرأيه، لا يتنازل أحد عن رأيه، اختلفوا، أتوا من بعدهم وعندهم سبب الاختلاف ولكنه الشك والارتياب في صحة ما معهم.

"{فَلِذَلِكَ فَادْعُ} أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، {وَاسْتَقِم} بنفسك {كَمَا أُمِرْتَ} أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك".

إذن بهذا الكتاب، وهذا الحمد لله أمس قرأنا فيه كلام الشيخ أسأل الله أن ينفعنا بما نسمع.

"ومن المعلوم أن أمر الرسول . صلى الله عليه وسلم . أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.

{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم} أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: "ولا تتبع دينهم" لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهوا ولعبا".

فأنت وأنا وأنتم والمسلمون واجبهم أنهم يدعون ويستقيمون كما أمروا.

من الكفرة هذا صنف، **ومن المنافقين** هذا الصنف الخطير.

لا تتبع أهواءهم، **إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله** يقنعونك أن الناس اليوم ما يحتاجون، ماذا لا يحتاجون؟! إن الحاجة إلى العلم كالحاجة إلى الطعام والشراب، بل أعظم من الحاجة إلى الطعام والشراب،

وهل هناك أحسن قولاً ممن دعاء إلى الله، فحبب الله إلى خلقه وعلمهم القرآن وعلمهم السنة، هل هناك أحد أحسن قولاً من ذلك؟

فإذن لا تتبع أهوائهم **باتباع دينهم وتفكيرهم أو بترك الدعوة إلى الله أو بترك الإستقامة** على هذا الدين، الذين ظلمتم أنفسكم بهذا الفعل، والله عز وجل لم يقل ولا تتبع دينهم.

"{وَقُل} لهم عند جدالهم ومناظرتهم: {آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}".

وقل لهم عند جدالهم ومناظرتهم لتبين لهم الحق: آمنت بما أنزل الله من كتاب.

"أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام".

ماهو الأصل؟ هو أنني آمنت بما أنزل الله من كتاب، كل الكتب أنا مؤمن بها،كتابي والكتاب الذي نزل على موسى والكتاب الذي نزل على عيسى والصحف الذي أنزلت على إبراهيم، مؤمن بكل كتاب أنزله الله.

أي الدين الذين يقولون أنهم عليه هو جزء من الإسلام، فنحن نؤمن بعيسى عليه السلام ونؤمن بموسى، وأنتم عليكم يا أهل الكتاب أن تؤمنوا بنبينا.

"وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته.

وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم".

إذن نحن أمرنا بالإيمان بموسى وعيسى، الآن الكلام عن أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، أمرنا بأي شيء؟ أمرنا أن نؤمن بعيسى وموسى والتوراة والإنجيل التي أخبر الله بها، وكانت التوراة والإنجيل عُلمنا في كتابنا أنها فيها خبر عن القرآن وفيها خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فأتى القرآن مصدق للتوراة والإنجيل.

فهذا الذي نؤمن به، أما مجرد أن يشترك الاسم يقولون هذه التوراة وهي تكون من كلامهم، وهذا الإنجيل وهو محرف من عندهم، وهذا موسى، وهذا عيسى بصورة ليست حقيقية ويصفونها أحوالاً ليست حقيقية! هذا لم نؤمر أن نؤمن به.

"وقوله: {وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم يا أهل الكتاب من العدل بينكم".

بغضكم من أجل أي شيء؟ من أجل تحريفكم للكتاب.

"ومن العدل في الحكم بين أهل الأقوال المختلفة من أهل الكتاب وغيرهم:"

ما هو العدل؟

"أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل".

هناك حق يمكن أن يقولونه سنقبله، أما الباطل فنرُده.

"{اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُم} أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا".

الله ربنا وربكم، فلماذا تظنون أن طريقكم هو الذي يوصلكم، أن الله ربُنا وربُكم أمرنا وأمركم، أن تؤمنوا بهؤلاء الأنبياء كما وصف وبكتبه كما أمر، كما شرع سبحانه وتعالى وأمركم أن تؤمنوا، كما تؤمنوا بالتوراة أو الإنجيل تؤمنون بالقرآن.

{لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُم} من خير وشر {لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} وإنما المراد ما ذكرنا.

لماذا؟ لأن المقصود من الجدال بيان الحق من الباطل، لأجل أي شيء؟ ليهتدي الراشد وتقوم الحجة على الغاوي.

أي المقصود لا حجة بيننا وبينكم بعدما جادلناكم وبينا لكم الحق، وليس ممنوع الجدال على الإطلاق.

"{اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} يوم القيامة، فيجزي كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب. {وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم.

فأخبر هنا أن {الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ} بالحجج الباطلة، والشبه المتناقضة {مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} أي: من بعد ما استجاب للّه أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة.

فهؤلاء المجادلون للحق من بعد ما تبين {حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ} أي: باطلة مدفوعة {عِنْدَ رَبِّهِم} لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو باطل."

المعنى: أن الحق يظهر ويقبله أولوا الألباب الذين يفكرون، فهؤلاء بعد ظهور الحق وبيانه يأتون يخترعون حججًا من أجل أن يردوا الحق وتكون هذه الحجج باطلة بعد بيان الحق واضحًا.

{وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} لعصيانهم وإعراضهم عن حجج اللّه وبيناته وتكذيبها. {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} هو أثر غضب اللّه عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل".

وهذا طبعاً لا يخص أهل الكتاب إنما خص كل من يدخل في جدال ويخترع اختراعات بعد أن ظهر له الحق جليا فمثلاً : هذا الدين دين الرحمة ظهرت تفاصيل الرحمة في شرعه وترى فيه آثار كمال صفات الله، فيترك كل هذا الظاهر بعد المحاجة وبيان الشأن، ثم يأتي يلقي عليك شبهة، يكلمك عن الرقيق والعبيد، ولماذا في الشرع يوجد عبيد، وهذا نوع من أنواع إلقاء الشبهة بعدما تبين الحق، وعلى كل حال: مثل هذا أمر عندنا جوابه وواضح فهمه لكن الإشكال في أي شيء؟ الإشكال في أن هذه الأمور من أجل أن تُفهم تحتاج أن تكون ذا خبرة في الشؤون الإجتماعية، ذا خبرة في أحوال الخلق، ذا خبرة في أوضاع الحروب وفي أوضاع البشرية كيف كانت ولا زالت، وهل هم العبيد اختفوا؟ وهل غارات الغرب والشرق على البلدان انتهت؟ لكن الأمر يحتاج إلى تفصيل.

فهم يتركون الظاهر البيّن الذي فيه دلالة واضحة على أن هذا الدين هو الحق، ويدخُلون إلى تفاصيل تحتاج أنت لطرحها وفهمها وبيانها تفاصيل، فهذا إنما هو جدلٌ بالباطل.

الدين دين الرحمة ودين السلام ودين يوصل الخلق إلى كل حق، والذي يشكل عليك بيانه يسير لو أنت دعوت الله أن يسلم لك قلبك وأن تكون صادقًا في إرادة الحق، إذن الشرط واضح أن الله يهدي إليه من ينيب .

هذا ما تيسر من الآيات العظيمة في سورة الشورى، أسأل الله عزّ وجلّ بمنّه وكرمه أن يجعله مجلساً مباركاً وأن ينفعنا به.